

سيرورة التربية المواطنة في مناهج التعليم العام: منذ إعلان دولة لبنان الكبير حتى اليوم

د. علي خليفة

كلية التربية – الجامعة اللبنانية

Transformation des curricula d'éducation nationale au Liban: depuis la création du Grand Liban jusqu'à nos jours

Ali Khalifé

Faculté de pédagogie – Université Libanaise

Cette étude s'intéresse aux éléments de l'éducation à la citoyenneté (EC) dans les curricula de l'enseignement général au Liban, modifiés à trois reprises (1948, 1971 et 1997). Le but de l'étude étant de confronter ces éléments à une grille des domaines et des éléments de l'EC en se basant sur le modèle du concept de la citoyenneté démocratique. Sur le plan méthodologique, un indicateur qui sert d'outil de mesure sera utilisé pour estimer l'efficacité de l'EC dans le curriculum. Les résultats montrent des ambiguïtés sur l'approche de l'Etat national et de l'identité arabe. Les indicateurs de l'efficacité de l'EC dans les curricula sont très irréguliers au cours du temps: en commençant par les éléments émotionnels forts du curriculum de 1946 pour créer une « nation libanaise » et un peuple unifié pour le Grand Liban; en passant par le curriculum de 1971, qui a renversé les approches précédentes sans définir une politique alternative de l'approche nationale et des éléments de l'unité du peuple, tandis qu'une nouvelle phase d'apprentissage au sein du curriculum a permis d'accroître l'indice d'efficacité; enfin en arrivant au dernier curriculum (1997), stipulant une identité arabe associée à l'espace culturel des Libanais mais restant insuffisant au niveau des

éléments de leur unité en tant que peuple, avec un déclin de l'indice d'efficacité.

تدرس هذه الورقة عناصر التربية الوطنية في مناهج التعليم العام في لبنان والتي تغيّرت ثلاث مرات (1946، 1971 و1997)، فتضئ عليها من زاوية تقويمية لمطابقتها مع شبكة مجالات ومحكات التربية على المواطنة الديمقراطية كخلفية نظرية للبحث وتنتهج مقارنة كمية مستحدثة تستخدم قياس مؤشر فعالية التربية الوطنية في المناهج. تشير النتائج إلى اللغط في تبني مقارنة الدولة الوطنية والهوية العربية والتذبذب في فعالية المناهج بموازاة تتابعها الزمني: بدايةً مع عناصر عاطفية طاغية على مناهج 1946 لخلق قومية لبنانية ومشروع شعب موحد للبنان الكبير (وهو الدولة الناشئة قبل اكتمال عناصر القومية ووحدة الشعب): مروراً بمناهج 1971 التي انقلبت على المناهج السابقة من دون تحديد سياسة واضحة للمقارنة القومية البديلة وعناصر وحدة الشعب في حين افتتحت مرحلةً تعلّمية جديدة من ضمن مقارنة المنهج المدمج بمؤشر فعالية مرتفع؛ إلى أن أعادت مناهج 1997 صوغ رؤيا تثبت الهوية العربية المرتبطة بالفضاء الثقافي اللبنانيين وإهمال عناصر وحدتهم كشعب وتراجع ملحوظ على مستوى مؤشر الفعالية.

مقدّمة

تعدّلت مناهج التعليم العام في لبنان، منذ نشوئه ككيان سياسي في العام 1920، وحتى اليوم (2015)- أي على مدى قرنٍ من الزمن تقريباً، ثلاث مرّات: مرّةً أولى، عام 1946، غداة الإستقلال في العام 1943 عن سلطة الإنتداب الفرنسي؛ وثانية، عام 1971، تلت صدمات أهليّة وصراعات متفرّقة في لبنان كما المنطقة العربية بشكلٍ عام؛ وثالثة عام 1997 بعد أن وضعت الحرب الأهلية أوزارها عقب اتفاق الطائف وتعديل الدستور وقيام الجمهوريّة الثانية.

إن ربط تغيّر المناهج بواقع الصراع وتحولاته في المجتمع أمرٌ لا مناص من التوقف عنده، في سياقه التاريخي من جهة كحدث يفرض توثيقه، ومن جهة ثانية لدلالاته التربوية حيث تصبح العملية التربويّة بشكل عام وما تطرحه التربية على المواطنة على وجه الخصوص، محطّ إشكاليات ومثار اتفاق (أو خلاف) بشأنها، وتباین إزاءها فعالية المدرسة كمؤسسة تربوية واجتماعية في مقاربتها، لا

سيما من خلال المناهج المعدّة حيث "يعكس واضعو المناهج عادةً توقعات النظام السياسي، سواء أكان النظام ديمقراطيًا أو سلطويًا أو توتاليتاريًا، وذلك بواسطة ما يقدمونه من أهداف ومحتوى وطرائق تدريس ونشاطات صفية أو لاصفيّة، إضافةً إلى التركيز على القيم والمواقف المطلوبة بشكل واضح، مصوّرين إياها بأنها الأفضل" (فريجة، 2006، ص. 47).

أهداف البحث

في مداخلي هذه، أدرس عناصر التربية المواطنة في مناهج التعليم العام في لبنان في كلّ من المرات الثلاثة التي تغيرت فيها المناهج، ثم أضيء على هذه العناصر من زاوية تقويمية وبشكل مقارن يظهر تحديد تأثير الصراعات عليها وتبعات هذا التأثير.

أسئلة البحث

وعلى ضوء هذه الأهداف، ستحاول مداخلي الإجابة على الأسئلة التالية:

أولاً: ما هي عناصر التربية المواطنة في مناهج التعليم العام في لبنان في كلّ من مناهج عام 1946، 1971 و1997؟

ثانياً: ما هو تحليلنا لهذه العناصر بشكل مقارن؟

ثالثاً: ما مدى مطابقة هذه العناصر مع شبكة مجالات ومحكات التربية على المواطنة الديمقراطية؟

رابعاً: ما هو قياس مؤشر فعالية التربية المواطنة في كلّ منها؟

منهجية البحث

أعتمد المنهجية التحليلية القائمة على تحليل المناهج للإجابة على السؤالين الأولين وعلى شبكة مجالات ومحكات التربية على المواطنة لنمر فريجة بعد تعديلها وتأكيد تضمينها لمكونات المواطنة الديمقراطية (السؤال الثالث)

وأعتمد المقاربة الكميّة في البحث لدى استخدام قياس جديد استحدثته وأسميته مؤشّر فعالية التربية المواطنة في المناهج (السؤال الرابع).

المواطنة الديمقراطية وشبكة مجالاتها وفعاليتها التربوية عليها في المناهج

1- المواطنة الديمقراطية كخلفية نظريّة للبحث

اعتمدت مقارنة المواطنة الديمقراطية كخلفية نظرية للبحث من أجل تحليل عناصر المناهج والإضاءة عليها من زاوية تقويمية. وتتمحور الأدبيات الراهنة حول مفهوم المواطنة الديمقراطية على اعتبارها مفهوماً مركباً ذا أبعادٍ كثيرة. يستوقفنا ما يلي في تعداد هذه الأبعاد (لا للحصر) ومع تفاوت في الأهمية:

- الهوية الناتجة عن الإنتماء الوطني أو ما دون الوطني (كالطوائف الدينية، اللّغوية، الثقافيّة...) أو ما فوق الوطني (كالإقليم، أو العالم)، مع تعدّد مندرجات الهوية ودينامية عناصر الإنتماء بحسب رغبة الفرد ومدى تحققها؛
- سلّة الحقوق المدنيّة (الإرتباط، التملّك...) والسياسية (الإقتراع، الترشح، تأليف الجمعيات، الأحزاب أو الإنضمام إلى إحداها...) والقانونيّة (المساواة، الإذعاء، المرافعة...) والإجتماعيّة (العمل، التعلّم، الإستشفاء، الأمان...);
- الحريّات الخاصّة والعامة.
- الواجبات والإلتزامات (احترام القوانين، دفع الضرائب، الدفاع عن الوطن).
- وترعى كلّ هذه المكونات منظومة قيمٍ فرديةٍ وجماعيةٍ^{††}، يُمكن ذكرها، بالإعتماد على الثقافة المستمدّة من شرعة حقوق الإنسان، من خلال القيم الإنسانيّة (المنطلقة من احترام الإنسان لحقوق الإنسان الأخر)، القيم المدنيّة

^{††} ولا بدّ من الإشارة إلى المتغيّر الدائم في كلّ منظومةٍ قيميةٍ. ويتجلّى هذا المتغيّر من خلال النظام المعرفي للأفراد وللإجتماع والسلوك العام خلال فترة محدّدة.

(القاضية باحترام – والحث على احترام – القوانين والنظم والأعراف) والقيم الأخلاقية (التعاون ورفض التعديّات والظلم والغبن).^{‡‡}

قامت عدّة نماذج على الأبعاد والمكونات المذكورة أعلاه مع تفاوت في إيلاء الأهمية لكل منها. بعض هذه النماذج عرضها عدّة باحثون في دراساتهم للمجتمعات الديمقراطية الغربية (باجي، 2001 ؛ أولييه، 2002؛ غيلنز، 2009...) وهي كما يلي:

المقاربة الوطنية المعاصرة وهي منبثقة من المقاربة الوطنية التاريخية، وتدعو إلى تعزيز شعور الإنتماء للهوية الوطنية، وتقضي أدبيّاتها بترسيخ هذا الشعور وإعطائه الأولوية إزاء طروحات الهويات الخاصة، الثقافية منها أو الإثنية، أو الدينية... ويطلّغ على هذه المقاربة إيلاء الأهمية القصوى للمناسبات الوطنية وكل ما يمتّ بصلة إلى تاريخ الشعب والأحداث التي طبعته والأشخاص الذين صنعوا هذه الأحداث.



^{‡‡} يمكن إضافة القيم الدينية التي تسعى إلى إضفاء بعدٍ روحي أوعقائدي على حياة الفرد وعلاقته بالجماعة ومفهومه للحياة.

- المقاربة الثانية، بمسمى المواطنة الجمهورية أو الفاعلة: تعتمد على إعطاء الأولوية للمشاركة العامة، وتتحدّر من ثقافة الجمهورية وقيمها من ناحية تغليب المصلحة العامة والمشاركة في الشأن العام على المصلحة الخاصة والأمور الفردية. ويتّصف المواطن، بقوة انتمائه للمجموعة وارتباطه بمنظومة حقوقه لديها ومتوجباته نحوها.



- المقاربة المدنية: تعتمد على المشاركة المدنية، وتركز على أهمية مشاركة المواطن في إطار المجتمع المدني حيث يجتمع الناس وفق التقاء أفكارهم وأهدافهم وقضاياهم. ويتّصف المواطن، وفق هذه المقاربة، بحرصه الشديد على حقوقه المدنية والإجتماعية وبالالتزامه القوي بالشؤون التي يناضل من أجلها دون أن تعني هذه الشؤون بالضرورة مشاريع سياسية.



- المقاربة الليبراليّة: تقضي بضمان حقوق المواطن في المبادرة الفرديّة، لا سيّما في مجال العمل، والحرية الشخصية دون قيد، في دائرة العلاقات الخاصّة. ويمكن للنظرة الليبرالية في مقاربة المواطنة أن تلحظ للمواطن فرصة المشاركة في الحياة العامة، إن أراد ذلك، دون أي موجبٍ مسبق. ويتّصف المواطن، وفق هذه المقاربة، بضعف الرابط بينه وبين المجموعة وبالتعبير المفرط عن الخصوصيات بشتى أنواعها وبكلّ ما تستتبعه لناحية المواطن الفرد.



استفادت هذه النماذج من الرابط مع صيغة الديمقراطية ومنظومة حقوق الإنسان، في المجتمعات الديمقراطية الغربية المعاصرة تحديداً، واكتملت ضمن ما بات يُعرف بالمواطنة الديمقراطية (كونستن 1998؛ أوديجيه، 2000). ولاكتمال هذه الأبعاد ضمن مفهوم المواطنة الديمقراطية تبعات تربوية على مستوى تجميع عناصر ومجالات للتربية على المواطنة الديمقراطية.

2- شبكة لمجالات التربية على المواطنة الديمقراطية:

حاول عديدون مقارنة توافر عناصر التربية المواطنة، ونحن اعتمدنا لائحة فريجة (2012) كونها الأشمل وهي تتألف من خمسة مجالات: المجال المعرفي، المجال المهاري، المجال الوجداني، المجال الوطني: قيم ومواقف ومجال المشاركة والعمل

في بحث سابق (خليفة، 2014) تمّ التحقق من التوافق بين مجالات هذه الشبكة وعناصر ومكونات مفهوم المواطنة الديمقراطية: حيث يتبين تضمين كافة مكونات المواطنة الديمقراطيّة ضمن مجالات شبكة التربية المواطنة، ممّا

يفضي إلى تطابق عناصر ومكونات مفهوم المواطنة الديمقراطية مع مجالات شبكة التربية المواطنية (فريجة، 2012) والتي سنتبناها في دراستنا مع بعض التعديلات على مستوى المحكات في بعض مجالات الشبكة.

بعد عرض وتحليل هذه المجالات، يتوصل ن. فريجة (2012) إلى وضع شبكة المحكات لمجالات التربية المواطنة وعناصرها (ص. 234-239). وتضمنت هذه الشبكة عددًا من العناصر التي يمكن أن تجزأً إلى عناصر أخرى (فريجة، 2012، ص. 234-239). يقول فريجة إن "القيم الإجتماعية يمكن تجزئها إلى قيم ثانوية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى القيم الإقتصادية وغيرها من العناصر، فعلى سبيل المثال وإذا أخذنا عنصر المحافظة على الأصالة في المجال الوطني نستطيع وضع عدة عناصر ثانوية ترتبط بالأصالة كالحفاظ على اللغة والحفاظ على اللهجات المحلية والحرف التقليدية وطريقة التواصل بين الجيران والأقارب واللباس الوطني وغيرها... فهذا الأمر متروك للباحث الذي يدرس موضوعًا معينًا إذا شاء التركيز على تفاصيل عنصر ما بشكل مفصّل" (ص. 240)

ونحن عدّلنا هذه الشبكة في بعض المجالات (تحديدًا المجال الوجداني ومجال المشاركة والعمل) عبر تفرع أو ضمّ بعض المحكات، مراعاة عدم الإفراط في تحميل بعض القيم الديمقراطية أو ذات الإرتباط بالآخرين خصوصيات ثقافية (عبر ضم بعض المحكات) أو للتركيز على تفاصيل عنصر ما (كالأعياد والمناسبات العامة عبر تفرع بعض المحكات).

سيتبنى البحث الراهن شبكة محكات التربية المواطنة وعناصرها (فريجة، 2012، ص. 234-239) معدلة وفق ما يلي:

المحكات	مجالات التربية الوطنية
1- تاريخ الوطن	المجال المعرفي
2- جغرافية الوطن	
3- تراث الوطن وثقافته	
4- تركيبة المجتمع المحلي	
5- تركيبة المجتمع الوطني	
6- مؤسسات الوطن ودورها	
7- واجبات المواطن	
8- حقوق المواطن	
9- تاريخ الدول المجاورة	
10- جغرافية الدول المجاورة	
11- علاقة الوطن بهذه الدول	
12- علاقة الوطن بدول العالم	
13- التاريخ العالمي	
14- الجغرافيا العالمية	
15- معارف علمية وتكنولوجية	
16- اللّغة الأم (اللغة العربية، ...)	
17- مفهوم الديمقراطية	
18- مبادئ الديمقراطية	
1- مهارات جسديّة (رياضيّة،...)	المجال المهاري
2- مهارات تقنيّة	
3- مهارات مهنيّة	
4- مهارات فنية	
5- مهارات حرفية	
6- مهارات فكرية	
1- التربية الأخلاقية	القيم
2- القيم الدينية	
3- القيم الوطنية	
4- القيم الإجتماعية	
5- القيم الإقتصادية	

6-	القيم الديمقراطية	
7-	احترام الكفاءة	
8-	تساوي الفرص بين المواطنين	المجال الوجداني
9-	حب العمل	
10-	قيم ذات ارتباط باحترام الآخرين والتسامح معهم	
11-	قيم ذات ارتباط باحترام شرعة حقوق الإنسان	
12-	قيم ذات ارتباط باحترام حقوق المرأة	
13-	قيم ذات ارتباط باحترام حقوق الطفل	
14-	قيم ذات ارتباط بعدم التمييز (جندي، طائفي،...)	
15-	الإهتمام بقضايا المنطقة الإقليمية	
16-	الإهتمام بالقضايا العالمية في العدالة والسلام	
1-	الإنتماء إلى الوطن	
2-	الإعتزاز بالهوية الوطنية	
3-	الولاء للوطن	
4-	الخضوع للقانون	
5-	الإعتزاز برموز الوطن	
6-	الدفاع عن وحدة الأرض	المجال الوطني: قيم ومواقف
7-	الدفاع عن وحدة الشعب	
8-	الإعتزاز بالتراث والثقافة الوطنيين	
9-	المحافظة على الأصالة	
10-	مماشة المعاصرة	
11-	تكوين ذاكرة جماعية حول الوطن	
1-	القيام بواجبات المواطن	
2-	ممارسة حقوق المواطن	
3-	المشاركة في شؤون المجتمع المحلي	
4-	المشاركة في شؤون المجتمع الوطني	
5-	تحسين البيئة الطبيعية التي يعيش فيها المواطن	مجال المشاركة والعمل
6-	المحافظة على البيئة الطبيعية المحلية	
7-	المحافظة على الثروات الطبيعية	
8-	المحافظة على البيئة الطبيعية العالمية	
9-	المشاركة في التوعية الصحية	
10-	المشاركة في إبداء الرأي وصنع القرار	

- 11 المشاركة في الإنتخابات
- 12 المشاركة في الأعياد الدينية
- 13 المشاركة في الأعياد الوطنية
- 14 المشاركة في النشاطات التطويعية
- 15 العمل للمساهمة في تنمية الموارد البشرية
- 16 العمل للمساهمة في تنمية الموارد الإقتصادية
- 17 العمل للمساهمة في تنمية الموارد الإجتماعية
- 18 العمل للمساهمة في الأمان الإجتماعي
- 19 العمل في مجال منتج
- 20 المشاركة في الأنشطة ذات الطابع العالمي
- 21 عدم الإنعزال بالنسبة إلى العولمة

3- فعالية التربية على المواطنة في المناهج

لاحساب مؤشر فعالية التربية المواطنة في المناهج، نلجأ إلى اعتماد التحديد التالي لصيغة التوزيع:

$$\langle H, \Xi \rangle = \int_1 H(x) \Xi(x) dx$$

حيث Ξ هي دالة قياس تحقق عدد من محكات التربية المواطنة في كل من المجالات الخمسة للشبكة، ويكون تعريف الدالة وفق ما يلي:

$$\Xi(x) = \begin{cases} 0 \leq n \leq 18, & \text{المجال الأول} \\ 0 \leq n \leq 6, & \text{المجال الثاني} \\ 0 \leq n \leq 16, & \text{المجال الثالث} \\ 0 \leq n \leq 11, & \text{المجال الرابع} \\ 0 \leq n \leq 21, & \text{المجال الخامس} \end{cases}$$

وحيث H هي دالة Heaviside وتقيس مقدار تحقق كل من مجالات التربية المواطنة:

$$H(x) = \begin{cases} 1 \\ 0,5 \\ 0 \end{cases}$$

وتعتمد قيمتها على طرائق التعليم وآليات التقويم، وفق ما يلي:

قيمة Heaviside	طرائق التعليم ووسائل التقويم
0	المحاضرات والدروس (مع اختبارات خطية وتقييم بالعلامات)
0,5	المناقشات الهادفة حول موضوعات أو قضايا مختارة وتحديد أدوار المشاركين فيها إعداد تقارير حول قضايا أو مسائل راهنة (مع مناقشة التقارير شفويًا والمشاركة مع مجموعة عمل).
1	أنشطة ميدانية (رصد وقائع وأحداث أو انتهاكات أو تجاوزات أو ندوات متصلة بواقع الممارسة المواطنة وإشكالياتها (مع بطاقة لتقييم الأداء عبر ملاحظة ومتابعة أداء الطلبة وأنشطتهم).

نلاحظ أن هناك قيمة قصوى لمؤشر فعالية التربية على المواطنة الديمقراطية في المناهج:

$$\text{Max} \langle H, \Xi \rangle = 72$$

قراءة لعناصر التربية على المواطنة الديمقراطية في المناهج الثلاثة

بدءاً بمناهج 1946، حيث كان مكان التربية على المواطنة في المدرسة من خلال مادة دراسية تحت مسمى "الدروس الأخلاقية والوطنية" في المرحلة الابتدائية، و"الأخلاق والشؤون المدنية الوطنية" في المرحلة الابتدائية العالية، وفي المرحلة الثانوية تصبح المادة متفرعة إلى: (1) تعليم ديني و(2) أخلاق وشؤون مدنية ووطنية.

في الأهداف العامة لمناهج المادة، نقرأ ما يلي عبر سنوات مراحل التعليم: "رش أولى بذور الوطنية الحقة، ونشر أسهل مبادئ الفضيلة بوسائل مختلفة ومشوقة ومسليّة، مستمدة من صميم الطفولة في مرحلة روضة الأطفال": الشعور بـ"الإعزاز بالقومية والفخر بمناقب الأمة وأمجادها لا سيّما تلك التي كان فيها منفعة للإنسانية وخدمة للحضارة".

كان هناك درس للتعليم الديني من دون أن يكون له جذور في الأبعاد النفسية والأبعاد الروحية للمناهج. كانت المناهج تطرح فكرة "الإله الخالق (دون توصيف آخر) وعلاقته بالمخلوقات واحترام الشخصية الإنسانية والأخذ بتدرّج القيم الصاعد من المادة إلى العقل إلى الروح وضرورة التمرّس بالفضائل السامية وفهم حقوق الإنسان وواجباته". وكانت مناهج تنظر إلى التلميذ على أنه "كائن إنساني مؤهب للعيش في مجتمع أخلاقي متضامن الأفراد وفي وطن له كرامته وعزته القومية" وتطمح إلى "تعزيز الناحية الإنسانية وفكرة القيم الروحية واحترام الأخلاق والتمرّس بالفضائل": "حب لبنان والإعزاز بقوميّته" والعمل على الرفع من ثقافته والتفاني في سبيل كرامته وتولي "أهمية للتضامن الاجتماعي والعلاقات الدولية والتعاون الوثيق اللازم مع أهل البلاد العربية".

وتمحورت عناصر المادة، متدرّجَةً عبر سنوات مراحل التعليم، حول

العناصر التالية:

- النظافة والترتيب
- النظام والطاعة والسلوك الحسن
- إيقاظ الشعور الوطني
- الأخلاق
- الصدق
- عظمة الخالق
- الإستقامة والقناعة
- الأمة والشعب
- الإدارة النيابة العامة الجزاء النقدي، المشاريع العامة، الجمرك والرسوم
- العدل والمحبة والإحسان
- الجرأة الأدبية
- كرم الأخلاق والتضحية
- الصدق والإستقامة
- واجبات التلميذ:
- تجاه نفسه: العناية بالجسد وبالروح؛
- وفي بيته: الآداب داخل البيت وفي المجالس، احترام الوالدين وطاعتهما، محبة الوالدين وأفراد الأسرة؛
- وفي المدرسة: احترام المعلمين وإطاعتهم: التعاون بين الرفاق والمحافظة على النظام والوقت.
- المعلومات والمعارف عن شكل الحكومة والسلطة التنفيذية والتشريعية والنظام البرلماني والإداري والقضائي ودرجات المحاكم
- حب الوطن والتضحية في سبيله والدفاع الوطني.
- الخدمة العسكرية،

- الضرائب والرسوم والإقتراع العام واجبات الناخب، الأمن العام، المصارف والنقد.
- الضمير والأخلاق
- الخلق السليم والعادات الحسنة
- الأخلاق مرتبطة بالقيم الدينية مع وجود ساعة للتعليم الديني
- تثقيف مدني حول عناصر الأمة والوطن والدولة والتركيز أن من وظائف الدولة التربية الوطنية والحياة الإقتصادية
- دولة وطنية في طموح المناهج ودولة راعية ناظمة للحياة الإقتصادية.
- أخلاق وتثقيف مدني: العدل والإحسان وحب العمل وأشكال الدول وشرح النظام البرلماني (معارف) والقضائي.
- أخلاق: المسؤولية والضمير والعائلة وخصائص ما سمّته المناهج "العائلة اللبنانية"
- الحياة القروية
- تعريف المهن، الإنتاج وتقسيم العمل
- التثقيف المدني، الحريات، المساواة في الحقوق المدنية والسياسية والفرائض والواجبات
- تثقيف مدني وأخلاقي من ضمن نظرة متجانسة إلى الوطن والوطنية وعناصر الكيان وعلاقاته الدولية ونظرة إلى المكون الديني في المناهج من زاوية أخلاقية وتركيز على جهود اللبناني في سبيل الثقافة والحضارة في الوطن والمهجر

وتشغل التربية المواطنة في مناهج 1971 موقعاً من ضمن منهج الإجماعيات، كمنهج مدمج. الهدف العام منها إعداد المواطن الصالح "عن طريق تربية خلقية واجتماعية وثقافة تاريخية وجغرافية".

"مع إعداد زهات وزيارات للأماكن الأثرية والسياحية للتعرف إلى كثير من المعالم التاريخية والجغرافية في لبنان". لا درس للتعليم الديني. وتمحورت عناصر منهج الإجماعيات، متدرّجاً عبر سنوات مراحل التعليم، حول العناصر التالية:

- الحياة الإجتماعية
- واجبات وحقوق
- الأب/الأم، العائلة
- الأعياد
- قيم التعاون
- الريف والقرية
- التراث
- الهجرة
- المشاكل الناتجة عن التلوّث
- العمران والمدن
- الأنظمة والقوانين في المدرسة وفي المجتمع
- العادات والتقاليد
- القيم
- الإرتباط بالوطن
- قيم الإستقامة
- قيم العدل
- حب العمل
- الدفاع عن الوطن
- حرية الآخرين
- التضحية في سبيل الوطن
- ثروات البلاد والتراث الوطني
- واجبات المواطن (بتمايز مثير عن) واجبات المسؤولين
- القضاء وحكم القانون
- المهن الحرة ومجالاتها
- السياحة والسلوك السياحي

أخيراً، تأخذ أنظمة العيش المشترك في مناهج 1997 مكانةً ذات أولوية، حيث نقرأ في مقدمتها مثلاً عن "تثبيت الإنتماء وترسيخ الوحدة الوطنية بالتوازي مع الإفتتاح الروحي والثقافي"

ونقرأ أيضاً عن "تأمين المعلومات والكفاءات والمهارات اللازمة للشباب والتركيز الخاص على التربية المدنية والقيم اللبنانية المتميّزة بالحرية والديموقراطية واللاعنف" (مقدّمة المناهج التربوية الجديدة، 1997)؛

نجد بالمقابل غموض النصوص واتباعها منحي تمويني لجهة الهوية العربية والتأكيد عليها وإضافة (بشكل صيغة توجي بالشرطية) انفتاح لبنان على العالم. ولحظت المناهج عام 1997 تعريف الطالب على العناصر التالية:

- بعض عناصر تراث الوطن وثقافته
- التعريف بمؤسسات الوطن ودورها
- الإشارة إلى واجبات المواطن وبعض حقوقه
- اللّغة الأم (اللغة العربية. ...)
- مفهوم الديمقراطية
- بعض المهارات الفنية
- المهارات الفكرية
- القيم الأخلاقية
- بعض القيم الدينية والوطنية والأخلاقية والدينية والإقتصادية والإجتماعية والديمقراطية بشكل عام،
- حب العمل
- قيم ذات ارتباط باحترام الآخرين والتسامح معهم
- قيم ذات ارتباط باحترام شرعة حقوق الإنسان
- الإنتماء إلى الوطن
- الدفاع عن وحدة أرضه وشعبه
- الإعتزاز بالهوية الوطنية والتراث والثقافة الوطنيين
- الولاء للوطن

- الخضوع للقانون
- القيام بواجبات المواطن وممارسة حقوقه
- المشاركة في شؤون المجتمع المحلي والوطني
- المشاركة في إبداء الرأي وصنع القرار وفي الإنتخابات

تحليل هذه العناصر بشكل مقارن

تميّزت مناهج 1946 ببعيد استقلالي أي تقرير الحكومة الوطنية اللبنانية للمواد الدراسية ومضمونها وهذا ما لم يكن سائداً أيام الإنتداب الفرنسي حيث كانت تُعطى اللغة الفرنسية مساحة كبيرة في المناهج كونها لغة التدريس لجميع المواد. ما يستحق الوقوف عنده آنذاك هو ورود أن لبنان كوطن ومجتمع وتاريخ يشكل "أمة" ووجود البعد الإندماجي أي التركيز على اندماج مكونات المجتمع الدينية في بوتقة وطنية واحدة.

في حين أن من عملوا على مناهج 1971 اعتبروا أن لبنان لا يتمتع بمواصفات الدولة الوطنية في غياب اكتمال عناصر الأمة فيه، في ظل تزايد الإنقسامات داخل المجتمع الواحد وكان ذلك بعد حدثين غيراً في الواقع السياسي والسوسيوغرافي في المنطقة:

- نجاح الحركة الصهيونية في إقامة دولة اسرائيل عام 1948 على أراضي فلسطين التاريخية وتهجير عدد كبير من الفلسطينيين إلى الدول المحيطة ومن ضمنها لبنان؛

- حدوث إنقلاب الضباط الأحرار في مصر وما أعقبه من مرحلة شهدت ولادة فكر عروبي تمدد إلى سائر الأقطار العربية منادياً بالوحدة العربية وبالأمة العربية لا بالزعة القطرية الأمر الذي كان له ارتداداته الكبيرة في لبنان وتعاطفت شريحة واسعة من اللبنانيين مع أطروحة القومية العربية. لم يعد في مناهج 1971 أي ذكر للأمة اللبنانية.

ولئن أُلغيت مادة التربية الوطنية بموجب مرسوم 4202 عام 1972 من امتحانات البكالوريا وكان اعتبر فريحة أن "أي مادة لا تشملها امتحانات تهمل من قبل الطالب والمعلم وكل المرتبطين بالعملية التعليمية" (ص. 6) فإن ذلك في غير محله، ففي رأينا، ذلك تجديد تربوي كبير لأن معارف ومهارات وقيم التربية الوطنية هي غير قابلة للتقييم المدرسي، فضلاً عن كون هذه المعارف والمهارات والقيم غالباً ما تكون مكتسبة خارج الإطار المدرسي.

مناهج 1997 لم تستطع أن تشكل عنصر وحدة للمجتمع ولم تساهم إلا بإعادة إنتاج المجتمع الطائفي ولم تُحدث أي تغيير إجتماعي. فضلاً عن كونها خلت من عناصر مربوطة بتاريخ الوطن (بشقه الحديث بخاصة) وبجغرافيته بشكل كبير، كما خلت من الإشارة بشكل وافٍ إلى تركيبة المجتمع المحلي والوطني وكذلك تاريخ الدول المجاورة وجغرافيتها والتاريخ العالمي والجغرافيا العالمية ومعارف علمية وتكنولوجية... وخلت من المهارات الجسدية (رياضية...) والتقنية والمهنية والحرفية... وأعرضت عن احترام الكفاءة في ظل تساوي الفرص بين المواطنين وأهملت الإشارة بشكل جلي إلى قيم ذات ارتباط باحترام حقوق المرأة والطفل عبر تبني قيم ذات ارتباط بعدم التمييز (جندي، طائفي...) والإهتمام بقضايا المنطقة الإقليمية وبالقضايا العالمية في العدالة والسلام. في حين نجد ضعفاً في التعبير عن رموز الوطن والمحافظة على الأصالة ومماشاة المعاصرة، كما على صعيد تكوين ذاكرة جماعية حول الوطن.

وظل مناخ المدرسة العام ما بعد الحرب الأهلية حافلاً بإحياء الأعياد الدينية دون الوطنية وفي ظل تقصير كبير في الإضاءة على تحسين البيئة الطبيعية التي يعيش فيها المواطن والمحافظة على البيئة الطبيعية المحلية والثروات الطبيعية والبيئة الطبيعية العالمية والمشاركة في النشاطات التطوعية والعمل للمساهمة في تنمية الموارد البشرية والإقتصادية والإجتماعية والعمل في مجال منتج والمشاركة في الأنشطة ذات الطابع العالمي وعدم الإنعزال بالنسبة إلى العولمة.

فعالية التربية المواطنة في المناهج الثلاثة

بناءً على ما تقدّم، يمكن حصر محكات المجالات المذكورة في كل من المناهج الثلاثة وتثقيفها بواسطة دالة Heaviside التي تعكس وسائل وطرق التعليم المستخدمة، كما يلي:

جدول تعداد عناصر مجالات التربية المواطنة في مناهج 1946.

المجال المعرفي	المجال المهاري	المجال الوجداني	المجال الوطني: مجال قيم ومواقف والعمل	المجال المشاركة	
9	1	14	10	2	E
1	0.5	0.5	0.5	0.5	H

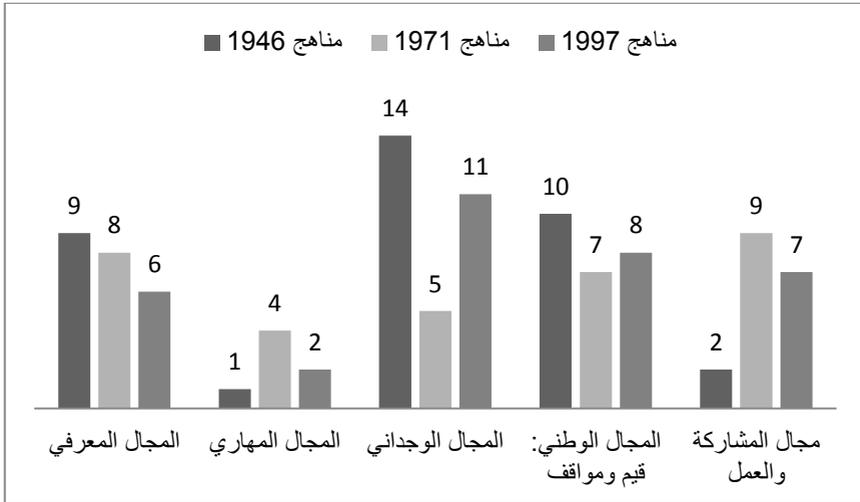
جدول تعداد عناصر مجالات التربية المواطنة في مناهج 1946.

المجال المعرفي	المجال المهاري	المجال الوجداني	المجال الوطني: مجال قيم ومواقف والعمل	المجال المشاركة	
8	4	5	7	9	E
1	1	0.5	0.5	1	H

جدول تعداد عناصر مجالات التربية المواطنة في مناهج 1946.

المجال المعرفي	المجال المهاري	المجال الوجداني	المجال الوطني: مجال قيم ومواقف والعمل	المجال المشاركة	
6	2	11	8	7	E
1	0.5	0.5	0.5	0.5	H

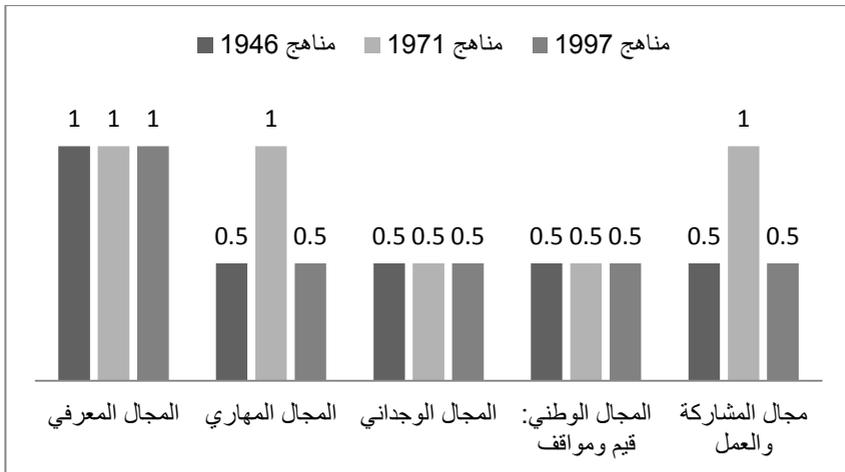
ويمكن أن نعرض النتائج في الجداول الثلاثة أعلاه عبر تتبع تطور أو تراجع الأبعاد في كل من المجالات الخمسة في المناهج الثلاثة كما يلي:



توزيع تعداد عناصر مجالات التربية المواطنة في المناهج الثلاثة

وتتبع تحقق كل من هذه المجالات عبر طرائق التعليم وآليات

التقييم المتبعة في المناهج الثلاثة يظهر ما يلي:



توزيع تحقق مجالات التربية المواطنة في المناهج الثلاثة

يتّضح لنا أن تغيير مناهج التربية الوطنية في لبنان أتى في المرات الثلاث على حساب تراجع مكونات المجال المعرفي لصالح عدد أقل من العناصر والمكونات المتوافق على تمريرها في مقابل تذبذب عناصر المجالات المتبقية. في حين أن تحقّق كل من هذه المجالات عبر طرائق التعليم وآليات التقييم المتّبعة في المناهج الثلاثة يظهر أعلى قيمة للمجال المعرفي (بمعنى آخر إن تحقّق عناصر المجال المعرفي يبقى الأعلى من ضمن جميع المجالات الأخرى وفي المناهج الثلاثة) بينما لم تنجح سوى مناهج عام 1971 في تحقّق عناصر المجال المهاري ومجال المشاركة والعمل بواسطة طرائق تعليم مناسبة وآليات تقييم ملائمة وبقيت مناهج 1946 و1997 ما دون المطلوب في ما يخص تعليم وتقييم عناصر المجالات غير المعرفية. بالإضافة إلى ما تقدّم، يفضي قياس مؤشّر فعالية التربية الوطنية (CEEI: *Citizenship Education Efficiency Indicator*) في منهج التربية الوطنية والتنشئة المدنية في لبنان إلى النتائج التالية:

جدول قياس مؤشرات فعالية التربية الوطنية في المناهج

مؤشّر فعالية التربية الوطنية (CEEI: <i>Citizenship Education Efficiency Indicator</i>)	منهاج
22.5	1946
27	1971
20	1997

مثل على احتساب مؤشّر الفعالية CEEI لمنهج 1997:

$$CEEI_{\text{Lebanon}} = \langle H, \Xi \rangle = \int_1 H(x) (x) dx$$

$$= 6 \times 1 + 2 \times 0.5 + 11 \times 0.5 + 8 \times 0.5 + 7 \times 0.5 = 20$$

ثمة صيغة تسمح بالحصول على نسبة مئوية تعكس مدى فعالية ما تحقق في التربية المواطنة في منهج ما:

$$\% \text{CEEI} = \frac{\langle H, \Xi \rangle}{\text{Max} \langle H, \Xi \rangle}$$

وعليه، نستطيع أن نجد في ما يلي ما حققته المناهج في لبنان من مستوى فعالية في التربية على المواطنة الديمقراطية:

جدول قياس مؤشرات فعالية التربية المواطنة في المناهج بالنسب المئوية

منهاج	% CEEI
1946	31,25%
1971	37,5 %
1997	27,77 %

خاتمة لإنهاء البحث

تشير النتائج إلى اللغظ في تبني مقارنة الدولة الوطنية والهوية العربية والتذبذب في فعالية المناهج بموازاة تتابعها الزمني: بدايةً مع عناصر عاطفية طاغية على منهاج 1946 لخلق قومية لبنانية ومشروع شعب موحد للبنان الكبير (وهو الدولة الناشئة قبل اكتمال عناصر القومية ووحدة الشعب) بمؤشر فعالية 31.25%؛ مروراً بمنهاج 1971 التي انقلبت على المناهج السابقة من دون تحديد سياسة واضحة للمقاربة القومية البديلة وعناصر وحدة الشعب في حين افتتحت مرحلةً تعليميةً جديدة من ضمن مقارنة المنهج المدمج ساهمت برفع مؤشر الفعالية (37.5%)؛ إلى أن أعادت منهاج 1997 صوغ رؤيا تثبت الهوية العربية المرتبطة بالفضاء

الثقافي للبنانيين وإهمال عناصر وحدتهم كشعب وتراجع ملحوظ على مستوى مؤشر الفعالية (27.77%).

وضع مناهجنا التربوية في مجال التربية على المواطنة الديمقراطية مأزوم جداً في البعد السياسي لهذه المناهج كما في البعد التربوي. ولأنّ واضعي المناهج يساءلون ليس فقط من زاوية التعلّم واكتساب المعرفة بل من زاوية فلسفة التربية التي يستندون إليها، يصبح تساؤل عمر فرّوخ خير ما أختتم به مداخلتني: "إن أسوأ ما في الجسم اللبناني المريض هو أن أطباءه لا يريدون له الشفاء..."

خاتمة لإعادة فتح البحث

يمكن لهذه الدراسة أن تُعمم عبر احتساب مؤشر الفعالية CEEI عبر دراسة حالات في أكثر من بلد، ممّا يسمح بطرح آلية لتحقيق التربية المواطنة ويساعد على التقدم فيها عبر زيادة فعاليتها في البلد المعني عبر متابعة السيرورة التاريخية للمناهج في هذا البلد أو بدراسة فعاليتها بطريقة مقارنة بين أكثر من بلد، لا سيما البلاد العربية التي تشهد صراعات، مقارنة مناهج مرحلة ما قبل وأثناء وما بعد الصراع.

المصادر والمراجع

1. خليفة، ع. (2009). *وطن بلا مواطنين*. بيروت: دار الفارابي.
2. خليفة، ع. (2015). "المواطنة في زمن علم النفس الاجتماعي: مقارنة لمفهوم المواطنة بواسطة نظرية التمثيلات الاجتماعية وحالة الثقافة المواطنة في الوطن العربي" في *إضافات (المجلة العربية للعلوم الإجتماعية)*، (29-30)، صص. 210-226.
3. فريحة، ن. (2012). *من المواطنة إلى التربية المواطنة: سيورة وتحديات*. بيبلس: المركز الدولي لعلوم الإنسان.
4. مناهج 1946، الصادرة في ملحق العدد 52 من الجريدة الرسمية في 28 كانون الأول 1946.
5. مناهج 1971 الصادرة عن وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، تحديد مناهج التعليم (1971). *مجلة الثقافة*، بيروت. المركز التربوي للبحوث والإينماء، دائرة التوثيق التربوي، الصادرة في المرسوم رقم 1971/2150.
6. مناهج 1997. المركز التربوي للبحوث والإينماء.
7. Audigier, F. (2000). **Concepts de base et compétences-clés de l'éducation à la citoyenneté démocratique**. Strasbourg : Editions du conseil de l'Europe.
8. Gellner, E. (2009). **Nations and nationalism**. London: Cornell university press.
9. Ouellet, F. (2002). **L'Éducation interculturelle et l'éducation à la citoyenneté: quelques pistes pour s'orienter dans la diversité des conceptions**. Québec: *VEI*, pp. 146-167.
10. Pagé, M. (2001). **L'Éducation à la citoyenneté devant la diversité des conceptions de la citoyenneté**. Québec: Presses de l'Université de Sherbrooke.



Ali Khalifé

علي خليفة

دكتور في العلوم التربوية من جامعة جنيف، سويسرا. أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية، كلية التربية، يدرّس التربية على المواطنة ونظام التعليم والإحصاء التربوي. يشارك في العديد من الفرق والبرامج البحثية وبصفة استشارية لإعداد البرامج المعرفية في المركز الدولي لعلوم الإنسان (العامل برعاية الأونيسكو). له العديد من الأبحاث المنشورة في مجلات أكاديمية محكمة، منها: "التربية والمواطنة في مهبّ عوامل أزمة الهوية والانتماء. مقاربات التربية على المواطنة في مناهج إعداد المعلمين في الجامعات اللبنانية"، في مجلة التربية المعاصرة (97)، 2014، و"مؤشر فعالية التربية المواطنة بالاعتماد على شبكة مجالات وعناصر المواطنة الديمقراطية" في مجلة الحياة النيابية، (92)، 2014، والكتب بالعربية: أبناء الطوائف (2007) ووطن بلا مواطنين (2009)...

Ali Khalifé est docteur en sciences de l'éducation de l'Université de Genève. Professeur associé, titulaire à l'Université libanaise, Faculté de Pédagogie, il enseigne l'éducation à la citoyenneté, le système éducatif libanais et les statistiques de l'éducation. Membre dans plusieurs équipes de recherche et à titre consultatif au Centre international des Sciences de l'Homme. Il a publié plusieurs articles, dont: "Approches de l'éducation à la citoyenneté dans les programmes de formation des enseignants", Journal de l'éducation contemporaine (97), 2014, et «L'indice d'efficacité de l'éducation à la citoyenneté dans les curricula" dans le Journal de la vie parlementaire, (92), 2014, et des livres en arabe, dont: *Les Enfants des Confessions* (2007) et *Une Société sans citoyens* (2009).